جعله مكانا فالمستقر يعني المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي
استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا
والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من
استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر
من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى
عن ابن عباس انه قال المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء ثم قرى ونقر في الارحام ما نشا
ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان
المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر في الرحم والمستودع في الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستقر
صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر
على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد
المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن
المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل
المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا
الدلايل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته ودلايله
الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي انزل من السما ما يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى
السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجنا به يعني بالما الذي نزلناه من السما نبات كل شي يعني من كل شي ينبت وينمو
من جميع اصناف النبات وقيل معناه اخرجنا بالما الذي نزلناه من السما غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش
وارزاق بني ادم واقواتهم ما يتغذون به فيثبتون عليه وينمون فاخرجنا منه خضرا يعني اخضر مثل عور واعور والاخضر
هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق
بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان
حاجة الناس اليه اكثر لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها يقال اطلعت النخل اذا
اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عنه الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب
الطلع والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه سمي عذقا
وهو العنقود وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة التناول ينالها القايم والقاعد وقال مجاهد
متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره من النخل ما قنوانها دانية
قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبق الاهتمام بها ولانها اسهل تناولا
من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات من اعناب والزيتون والرمان شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها
قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه يعني وغيرها غير
متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع
على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان
ثمرها يجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقيب النخلة لانه من اشرف
انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه
الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه

والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبار كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة
اليابسة وهو قوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار
قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه
قطعا ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك
احد الا الله تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم القيامة وانما احتج
عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا لله شركا الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة
الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي
نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لاثنين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس
خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الرازي عن
ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون
بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من السما سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق
فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من
الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه
اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك لله في تدبير هذا العالم
فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **فان قلت** فعلى هذا
القول فانهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا لله شركا **قلت** ان ابليس
له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا لله شركا
الجن ومعنى الاية وجعلوا الجن شركا لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب
قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركا لله ومن قال انها في المجوس فقد
اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملايكة بنات الله وهم شركاوه فعلى هذا
القول فقد جعلوا الملايكة من الجن وذلك انهم مستورون عن الاعين وقوله وخلقهم في معنى الكناية قولان
احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول
الثاني ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيا وهذا
كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع
ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريكا في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا يقال
اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطايفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا
وكفار العرب ادعوا ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالدليل
على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزى فثبت
بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال
تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي
عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما
يصفونه به من الكذب قوله عز وجل بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشي على غير مثال سبق
والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن

Copyright © King Saud University